(ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم [9]) E A لما كان قوله (وكم أرسلنا من نبي في الأولين) موجها إلى الرسول صلى ا عليه وسلم للتسلية والوعد بالنصر عطف عليه خطاب الرسول صلى ا عليه وسلم صريحا بقوله (ولئن سألتهم) الآية لقصد التعجيب من حال الذين كذبوه فإنهم إنما كذبوه لأنه دعاهم إلى عبادة إله واحد ونبذ عبادة الأصنام ورأوا ذلك عجبا مع أنهم يقرون تعالى بأنه خالق العوالم وما فيها . وهل يستحق العبادة غير خالق العابدين ولأن الأصنام من جملة ما خلق ا في الأرض من حجارة فلو سألهم الرسول صلى ا عليه وسلم في محاجته إياهم عن خالق الخلق لما استطاعوا غير الإقرار بأنه ا تعالى .

فجملة (ولئن سألتهم) معطوفة على جملة (وكم أرسلنا من نبي في الأولين) عطف الغرض وهو انتقال إلى الاحتجاج على بطلان الإشراك بإقرارهم الضمني : أن أصنامهم خالية عن صفة استحقاق أن تعبد .

وتأكيد الكلام باللام الموطئة للقسم ولام الجواب ونون التوكيد لتحقيق أنهم يجيبون بذلك تنزيلا لغير المتردد في الخبر منزلة المتردد وهذا التنزيل كناية عن جدارة حالتهم بالتعجيب من اختلال تفكيرهم وتناقض عقائدهم وإنما فرض الكشف عن عقيدتهم في صورة سؤالهم عن خالقهم للإشارة إلى أنهم غافلون عن ذلك في مجرى أحوالهم وأعمالهم ودعائهم حتى إذا سألهم السائل عن خالقهم لم يتريثوا أن يجيبوا بأنه ا ثم يرجعون إلى شركهم .

وتاء الخطاب في (سألتهم) للنبي صلى ا عليه وسلم وهو ظاهر سياق التسلية أو يكون الخطاب لغير معين ليعم كل مخاطب يتصور منه أن يسألهم .

و (العزيز العليم) هو ا تعالى . وليس ذكر الصفتين العليتين من مقول جوابهم وإنما حكي قولهم بالمعنى أي ليقولن خلقهن الذي الصفتان من صفاته وإنما هم يقولون : خلقهن ا كما حكي عنهم في سورة لقمان . (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن ا) . وذلك هو المستقرئ من كلامهم نثرا وشعرا في الجاهلية .

وإنما عدل عن الاسم العلي إلى الصفتين زيادة في إفحامهم بأن الذي انصرفوا عن توحيده بالعبادة عزيز عليم فهو الذي يجب أن يرجوه الناس للشدائد لعزته وأن يخلصوا له باطنهم لأنه لا يخفى عليه سرهم بخلاف شركائهم فإنها أذلة لا تعلم وإنهم لا ينازعون وصفه ب (العزيز والعليم) .

وتخصيص هاتين الصفتين بالذكر من بين بقية الصفات الإلهية لأنها مضادة لصفات الأصنام فإن

الأصنام عاجزة عن دفع الأيدي .

والتقدير : ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن ا وإن سألتهم : أهو العزيز العليم .

(الذي جعل لكم الأرض مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون [10]) هذا كلام موجه من ا تعالى هو تخلص من الاستدلال على تفرده بالإلهية بأنه المنفرد بخلق السماوات والأرض إلى الاستدلال بأنه المنفرد بإسداء النعم التي بها قوام أود حياة الناس . فالجملة استئناف حذف منها المبتدأ والتقدير : هو الذي جعل لكم الأرض مهادا . وهذا الاستئناف معترض بين جملة (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض) الآية وجملة (وجعلوا له من عباده جزءا) الآية .

واسم الموصول خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هو الذي جعل لكم وهو من حذف المسند إليه الوارد على متابعة الاستعمال في تسمية السكاكي حيث تقدم الحديث عن ا تعالى فيما قبل هذه الجملة . واجتلاب الموصول للاشتهار بمضمون الصلة فساوى الاسم العلم في الدلالة .

وذكرت صلتان فيهما دلالة عللا الانفراد بالقدرة العظيمة . وعلى النعمة عليهم ولذلك أقحم لفظ (لكم) في الموضعين ولم يقل : الذي جعل الأرض مهادا وجعل فيها سبلا كما في قوله (ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا) لأن ذلك مقام الاستدلال على منكري البعث فسيق لهم الاستدلال بإنشاء المخلوقات العظيمة التي لا تعد إعادة خلق الإنسان بالنسبة إليها شيئا عجيبا